أحمد شوقي

قصيدة

نهج البردة

في مدح الرسول الكريم ﷺ

مكتبة صيد الفوائد
http://www.saaid.net

ريمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ ... أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ

رَمى القَضاءُ بِعَينَي جُؤذَرٍ أَسَداً ... يا ساكِنَ القاعِ أَدرِك ساكِنَ الأَجَمِ

لَمّا رَنا حَدَّثَتني النَفسُ قائِلَةً ... يا وَيحَ جَنبِكَ بِالسَهمِ المُصيبِ رُمي

جَحَدتُها وَكَتَمتُ السَهمَ في كَبِدي ... جُرحُ الأَحِبَّةِ عِندي غَيرُ ذي أَلَمِ

رُزِقتَ أَسمَحَ ما في الناسِ مِن خُلُقٍ ... إِذا رُزِقتَ اِلتِماسَ العُذرِ في الشيَمِ

يا لائِمي في هَواهُ وَالهَوى قَدَرٌ ... لَو شَفَّكَ الوَجدُ لَم تَعذِل وَلَم تَلُم

لَقَد أَنَلتُكَ أُذناً غَيرَ واعِيَةٍ ... وَرُبَّ مُنتَصِتٍ وَالقَلبُ في صَمَمِ

يا ناعِسَ الطَرفِ لا ذُقتَ الهَوى أَبَداً ... أَسهَرتَ مُضناكَ في حِفظِ الهَوى فَنَمِ

أَفديكَ إِلفاً وَلا آلو الخَيالَ فِدىً ... أَغراكَ بِالبُخلِ مَن أَغراهُ بِالكَرَمِ

سَرى فَصادَفَ جُرحاً دامِياً فَأَسا ... وَرُبَّ فَضلٍ عَلى العُشّاقِ لِلحُلُمِ

مَنِ المَوائِسُ بانا بِالرُبى وَقَنا ... اللاعِباتُ بِروحي السافِحاتُ دَمي

السافِراتُ كَأَمثالِ البُدورِ ضُحىً ... يُغرِنَ شَمسَ الضُحى بِالحَلي وَالعِصَمِ

القاتِلاتُ بِأَجفانٍ بِها سَقَمٌ ... وَلِلمَنِيَّةِ أَسبابٌ مِنَ السَقَمِ

العاثِراتُ بِأَلبابِ الرِجالِ وَما ... أُقِلنَ مِن عَثَراتِ الدَلِّ في الرَسَمِ

المُضرِماتُ خُدوداً أَسفَرَت وَجَلَت ... عَن فِتنَةٍ تُسلِمُ الأَكبادَ لِلضَرَمِ

الحامِلاتُ لِواءَ الحُسنِ مُختَلِفاً ... أَشكالُهُ وَهوَ فَردٌ غَيرُ مُنقَسِمِ

مِن كُلِّ بَيضاءَ أَو سَمراءَ زُيِّنَتا ... لِلعَينِ وَالحُسنُ في الآرامِ كَالعُصُمِ

يُرعَنَ لِلبَصَرِ السامي وَمِن عَجَبٍ ... إِذا أَشَرنَ أَسَرنَ اللَيثَ بِالغَنَمِ

وَضَعتُ خَدّي وَقَسَّمتُ الفُؤادَ رُبىً ... يَرتَعنَ في كُنُسٍ مِنهُ وَفي أَكَمِ

يا بِنتَ ذي اللَبَدِ المُحَمّى جانِبُهُ ... أَلقاكِ في الغابِ أَم أَلقاكِ في الأُطُمِ

ما كُنتُ أَعلَمُ حَتّى عَنَّ مَسكَنُهُ ... أَنَّ المُنى وَالمَنايا مَضرِبُ الخِيَمِ

مَن أَنبَتَ الغُصنَ مِن صَمصامَةٍ ذَكَرٍ ... وَأَخرَجَ الريمَ مِن ضِرغامَةٍ قَرِمِ

بَيني وَبَينُكِ مِن سُمرِ القَنا حُجُبٌ ... وَمِثلُها عِفَّةٌ عُذرِيَّةُ العِصَمِ

لَم أَغشَ مَغناكِ إِلا في غُضونِ كَرىً ... مَغناكَ أَبعَدُ لِلمُشتاقِ مِن إِرَمِ

يا نَفسُ دُنياكِ تُخفي كُلَّ مُبكِيَةٍ ... وَإِن بَدا لَكِ مِنها حُسنُ مُبتَسَمِ

فُضّي بِتَقواكِ فاهاً كُلَّما ضَحِكَت ... كَما يَفُضُّ أَذى الرَقشاءِ بِالثَرَمِ

مَخطوبَةٌ مُنذُ كانَ الناسُ خاطِبَةٌ ... مِن أَوَّلِ الدَهرِ لَم تُرمِل وَلَم تَئِمِ

يَفنى الزَمانُ وَيَبقى مِن إِساءَتِها ... جُرحٌ بِآدَمَ يَبكي مِنهُ في الأَدَمِ

لا تَحفَلي بِجَناها أَو جِنايَتِها ... المَوتُ بِالزَهرِ مِثلُ المَوتِ بِالفَحَمِ

كَـــم نائِمٍ لا يَراهـا وَهـيَ ساهِـرَةٌ ... لَـولا الأَمانِـــيُّ وَالأَحـلامُ لَـم يَنَـمِ
طَـوراً تَمُـــدُّكَ فـي نُعمـى وَعافِيَـةٍ ... وَتـــارَةً فـي قَـرارِ البُـؤسِ وَالوَصَـمِ
كَـــم ضَلَّلَتـكَ وَمَـن تُحجَـب بَصيرَتُـهُ ... إِن يَلـقَ صابـــا يَـرِد أَو عَلقَمـاً يَسُـمُ
يـا وَيلَتـاهُ لِنَفسـي راعَهـا وَدَهـــا ... مُسـوَدَّةُ الصُحـفِ فـي مُبيَضَّـةِ اللَمَـمِ
رَكَضتُها فـي مَريـعِ المَعصِياتِ وَمـا ... أَخَـذتُ مِـن حِميَـةِ الطاعـاتِ لِلتُخَـمِ
هامَـت عَلـى أَثَـرِ اللَـذّاتِ تَطلُبُهـا ... وَالـنَفسُ إِن يَـدعُها داعـي الصِبـا تَهِـمِ
صَـلاحُ أَمـــرِكَ لِلأَخـلاقِ مَرجِعُـهُ ... فَقَـوِّمِ النَفـسَ بِالأَخـــلاقِ تَستَقِـمِ
وَالـنَفسُ مِـن خَيرِهـا فـي خَيـرِ عافِيَـةٍ ... وَالـنَفسُ مِـن شَرِّهـا فـي مَرتَـعٍ وَخِـمِ
تَطغـى إِذا مُكِّنَـت مِـن لَـذَّةٍ وَهَـوىً ... طَغـيَ الجِيـادِ إِذا عَضَّت عَلـى الشُكُـمِ
إِن جَـلَّ ذَنـبي عَـنِ الغُفـرانِ لـي أَمَـلٌ ... فِي اللَـهِ يَجعَلُنـي فـي خَيـرِ مُعتَصِـمِ
أَلقـى رَجائـي إِذا عَـزَّ المُجيـرُ عَلـى ... مُفَـرِّجِ الكَـرَبِ فـي الدارَيـنِ وَالغَمَـمِ
إِذا خَفَضـتُ جَنـــاحَ الـذُلِّ أَسأَلُـهُ ... عِـزَّ الشَفاعَـةِ لَـم أَسـأَل سِـوى أُمَـمِ
وَإِن تَقَـــدَّمَ ذو تَقـوى بِصالِحَـةٍ ... قَدَّمـتُ بَيـنَ يَدَيـهِ عَبـرَةَ النَـــدَمِ
لَزِمـتُ بـابَ أَميـــرِ الأَنبِيـاءِ وَمَـن ... يُمسِـك بِمِفتـــاحِ بـابِ اللَـهِ يَغتَنِـمِ
فَكُـلُّ فَضـــلٍ وَإِحسـانٍ وَعارِفَـةٍ ... مـــا بَيـنَ مُستَلِـمٍ مِنـهُ وَمُلتَـزِمِ
عَلَّقـتُ مِـن مَدحِـــهِ حَبـلاً أُعَـزُّ بِـهِ ... فـي يَـــومِ لا عِـزَّ بِالأَنسـابِ وَاللُحَـمِ
يُـزري قَريضـي زُهَيـراً حيـنَ أَمدَحُـهُ ... وَلا يُقـاسُ إِلـى جـــودي لَـدى هَـرِمِ
مُحَمَّـــدٌ صَفـوَةُ البـاري وَرَحمَتُـهُ ... وَبُغيَـةُ اللَـهِ مِـن خَلـــقٍ وَمِـن نَسَـمِ
وَصاحِبُ الحَـوضِ يَـومَ الرُسـلِ سائِلَـةٌ ... مَتـى الـوُرودُ وَجِبريـلُ الأَمينُ ظَمـي
سَنـــاؤُهُ وَسَنـاهُ الشَمـسُ طالِعَـةً ... فَـالجِرمُ فـي فَلَـكٍ وَالضَـوءُ فـي عَلَـمِ
قَـد أَخطَـأَ النَجـمَ مـا نالَـــت أُبُوَّتُـهُ ... مِـن سُـؤدُدٍ بـــاذِخٍ فـي مَظهَـرٍ سَنِـمِ
نُمـوا إِلَيـهِ فَـزادوا فـي الـوَرى شَرَفـاً ... وَرُبَّ أَصـــلٍ لِفَـرعٍ فـي الفَخـارِ نُمـي
حَـواهُ فـــي سُبُحـاتِ الطُهـرِ قَبلَهُـمُ ... نـورانِ قامـــا مَقـامَ الصُلـبِ وَالرَحِـمِ
لَمّـــا رَآهُ بَحيـرا قـالَ نَعرِفُـهُ ... بِمـا حَفِظنـــا مِـنَ الأَسمـاءِ وَالسِيَـمِ
سـائِل حِـراءَ وَروحَ القُـدسِ هَـل عَلِمـا ... مَصـــونَ سِـرٍّ عَـنِ الإِدراكِ مُنكَتِـمِ
كَـم جيئَـةٍ وَذَهـــابٍ شُرِّفَـت بِهِمـا ... بَطحـاءُ مَكَّـةَ فـي الإِصباحِ وَالغَسَـمِ
وَوَحشَـــةٍ لِإِبـنِ عَبـدِ اللَـهِ بينَهُمـا ... أَشـهى مِـنَ الأُنـسِ بِالأَحسـابِ وَالحَشَـمِ
يُسامِـرُ الوَحـــيَ فيهـا قَبـلَ مَهبِطِـهِ ... وَمَـن يُبَشِّـر بِسيمـى الخَيـــرِ يَتَّسِـمِ
لَمّـا دَعـا الصَحبُ يَستَسقونَ مِـن ظَمَـإٍ ... فاضَـت يَـــداهُ مِـنَ التَسنيـمِ بِالسَنَـمِ

وَظَلَّلَتــهُ فَصــــارَت تَستَظِــلُّ بِــهِ ... غَمامَـــــةٌ جَذَبَتهـا خيــرَةُ الدِيَــمِ
مَحَبَّــةٌ لِرَســولِ اللَــهِ أُشرِبَــهـا ... قَعائِـدُ الدَيـرِ وَالرُهبـانُ فـي القِمَــمِ
إِنَّ الشَمائِـلَ إِن رَقَّـت يَكــادُ بِهـا ... يُغــرى المــادُ وَيُغــرى كُــلُّ ذي نَسَــمِ
وَنــودِيَ اِقــرَأ تَعالــى اللَــهُ قائِلُهـا ... لَـم تَتَّصِـل قَبـلَ مَـن قيلَـت لَــهُ بِفَـمِ
هُنــاكَ أَذَّنَ لِلــرَحمَــنِ فَامتَــلَأَت ... أَسمــاعُ مَكَّـــةَ مِـن قُدسِيَّـةِ النَغَـمِ
فَـلا تَسَل عَـن قُرَيـشٍ كَيـفَ حَيرَتُهـا ... وَكَيــفَ نُفرَتُهـا فــي السَهـلِ وَالعَلَـمِ
تَساءَلوا عَـن عَظيـمٍ قَــد أَلَـمَّ بِهِـم ... رَمــى المَشايــخَ وَالــوِلــدانِ بِاللَمَــمِ
يـا جاهِليـنَ عَلـى الهــادي وَدَعوَتِـهِ ... هَـل تَجهَلـونَ مَكــانَ الصـادِقِ العَلَـمِ
لَقَّبتُمــوهُ أَميــنَ القَــومِ فـــي صِغَــرٍ ... وَمــا الأَميــنُ عَلـى قَـــولٍ بِمُتَّهَــمِ
فــاقَ البُــدورَ وَفــاقَ الأَنبِيــاءَ فَكَــم ... بِـالخُلقِ والخَلـقِ مِـن حُسـنٍ وَمِـن عِظَـمِ
جــاءَ النبيّــونَ بِالآيــاتِ فَانصَرَمَــت ... وَجِئتَنــا بِحَكيــمٍ غَيـــرِ مُنصَــرِمِ
آياتُــهُ كُلَّمــا طــالَ المَـدى جُـدُدٌ ... يَزينُهُــنَّ جَــــلالُ العِتــقِ وَالقِــدَمِ
يَكــــادُ فــي لَفظَــةٍ مِنــهُ مُشَرَّفَــةٍ ... يوصيــكَ بِالحَــقِّ وَالتَقــوى وَبِالـرَحِــمِ
يــا أَفصَـحَ الناطِقيـنَ الضـادَ قاطِبَـةً ... حَـديثُكَ الشَهَــدُ عِنـدَ الذائِـقِ الفَهِـمِ
حَلَّيـتَ مِـن عَطَــلٍ جيـدَ البَيـانِ بِـهِ ... فــي كُــلِّ مُنتَثِـرٍ فــي حُسـنِ مُنتَظِـمِ
بِكُــلِّ قَــــولٍ كَريــمٍ أَنــتَ قائِلُــهُ ... تُحــيِ القُلــوبَ وَتُحــيِ مَيِّــتَ الهِمَــمِ
سَــرَت بَشائِـــرُ بِالهــادي وَمَولِــدِهِ ... في الشَرقِ والغَربِ مَسرى النورِ في الظُلَمِ
تَخَطَّفَـت مُهَـجَ الطاغيـنَ مِـن عَـرَبٍ ... وَطَيَّــرَت أَنفُـسَ الباغيــنَ مِــن عُجُــمِ
ريعَـت لَهـا شَـرَفُ الإيـوانِ فَانصَدَعَـت ... مِن صَدمَةِ الحَقِّ لا مِـن صَدمَـةِ القُـدُمِ
أَتَيــتَ وَالنــاسُ فَوضــى لا تَمُــرُّ بِهِـم ... إِلّـا عَلــى صَنَـمٍ قَـد هـامَ فـي صَنَـمِ
وَالأَرضُ مَملــوءَةٌ جَــوراً مُسَخَّـــرَةٌ ... لِكُــلِّ طاغِيَـةٍ فـي الخَلـقِ مُحتَكِـمِ
مُسَـيطِرُ الفُــرسِ يَبغـي فــي رَعِيَّتِـهِ ... وَقَيصَـرُ الــرومِ مِـن كِبـرٍ أَصَـمُّ عَـمِ
يُعَذِّبــانِ عِبــادَ اللَــهِ فــي شُبَــهٍ ... وَيَذبَحــانِ كَمــا ضَحَّيــتَ بِالغَنَــمِ
وَالخَلــقُ يَفتِــكُ أَقواهُــم بِأَضعَفِهِــم ... كَاللَيــثِ بِالبَهـمِ أَو كَالحوتِ بِالبَلَـمِ
أَســرى بِــكَ اللَــهُ لَيــلاً إِذ مَلائِكُــهُ ... والرُسلُ في المَسجِدِ الأَقصى عَلى قَدَمِ
لَمّــا خَطَــــرتَ بِــهِ اِلتَفّــوا بِسَيِّدِهِـم ... كَالشُهـبِ بِالبَـدرِ أَو كَالجُنـدِ بِالعَلَـمِ
صَلّــى وَراءَكَ مِنهُـم كُــلُّ ذي خَطَـرٍ ... وَمَــن يَفُــــز بِحَبيــبِ اللَــهِ يَأتَمِــمِ
جُبـتَ السَـماواتِ أَو مـا فَوقَهُــنَّ بِهِـم ... عَلــى مُنَــوَّرَةٍ دُرِّيَّـــــةِ اللُجُــمِ
رَكوبَـةً لَـكَ مِـن عِــزٍّ وَمِـن شَـرَفٍ ... لا في الجيـادِ وَلا فــي الأَينُـقِ الرُسُـمِ

مَشيئَـــةُ الخالِـــقِ البـــاري وَصَنعَتُـــهُ ... وَقُـــدرَةُ اللَـــهِ فَـــوقَ الشَـــكِّ وَالتُهَـــمِ
حَتّـــى بَلَغـــتَ سَمـــــاءً لا يُطـــارُ لَهـــا ... عَلـــى جَنـــاحٍ وَلا يُسعـــى عَلـــى قَـــدَمِ
وَقيـــلَ كُـــــلُّ نَبِـــيٍّ عِنـــدَ رُتبَتِـــهِ ... وَيـــا مُحَمَّـــدُ هَـــذا العَـــرشُ فَاستَلِـــمِ
خَطَطـــتَ لِلديـــنِ وَالدُنيـــا عُلومَهُمـــا ... يـــا قـــارِئَ اللَـــوحِ بَـــل يـــا لامِـــسَ القَلَـــمِ
أَحَطـــتَ بَينَهُمـــا بِالسِـــرِّ وَانكَشَفَـــت ... لَـــكَ الخَـــزائِنُ مِـــن عِلـــمٍ وَمِـــن حِكَـــمِ
وَضـــاعَفَ القُـــربُ مـــا قُلِّـــدتَ مِـــن مِنَـــنٍ ... بِـــلا عِـــــدادٍ وَمـــا طُوِّقـــتَ مِـــن نِعَـــمِ
سَـــل عُصبَةَ الشِـــركِ حَـــولَ الغـــارِ سـائِمَةً ... لَـــــولا مُطـــارَدَةُ المُختـــارِ لَـــم تُسَـــمَ
هَـــل أَبصَـــروا الأَثَـــرَ الوَضّـــاءَ أَم سَمِعـــوا ... هَمـــسَ التَسابيـــحِ وَالقُـــرآنِ مِـــن أُمَـــمِ
وَهَـــل تَمَثَّـــلَ نَســـجُ العَنكَبـــوتِ لَهُـــم ... كَالغابِ وَالحائِماتُ وَالزُغبُ كَـالرُخَمِ
فَأَدبَـــروا وَوُجـــوهُ الأَرضِ تَلعَنُهُـــم ... كَباطِـلٍ مِـن جَـــلالِ الحَـقِّ مُنهَـزِمِ
لَـولا يَـدُ اللَـهِ بِالجـارَيـنَ مـا سَلِمـا ... وَعَينُـهُ حَـــولَ رُكـنِ الديـنِ لَـم يَقُـمِ
تَوارَيـــا بِجَنـــــاحِ اللَـــهِ وَاستَتَـــرا ... وَمَـــن يَضُـــمُّ جَنـــاحُ اللَـــهِ لا يُضَـــمِ
يـا أَحمَـدَ الخَـيرِ لـي جـاهٌ بِتَسمِيَتـي ... وَكَيـفَ لا يَتَسـامى بِالرَسـولِ سَمـي
المادِحـــونَ وَأَربـــابُ الهَـــوى تَبَـــعٌ ... لِصـاحِبِ البُـردَةِ الفَيحـاءِ ذي القَـدَمِ
مَديحُـهُ فيـكَ حُـــبٌّ خالِـصٌ وَهَـوىً ... وَصـادِقُ الحُـبِّ يُملـي صـادِقَ الكَلَـمِ
اللَـــهُ يَشهَـــدُ أَنّـــي لا أُعـارِضُـــهُ ... مـن ذا يُعـارِضُ صَـوبَ العـارِضِ العَـرِمِ
وَإِنَّمـا أَنـــا بَعـضُ الغابِطيـنَ وَمَـن ... يَغبِـط وَلِيَّـــكَ لا يُذمَـم وَلا يُلَـمِ
هَـــذا مَقـامٌ مِـنَ الرَحمَـنِ مُقتَبَـسٌ ... رمـــي مَهابَتُـهُ سَحبـانَ بِالبَكَـمِ
البَـدرُ دونَـكَ فـي حُسـنٍ وَفـي شَـرَفٍ ... وَالبَحـرُ دونَـكَ في خَيـرٍ وَفـي كَـرَمِ
شُـمُّ الجِبـالِ إِذا طاوَلتَهـا اِنخَفَضَـت ... وَالأَنجُـمُ الزُهـرُ مـا واسَمتَهـا تَسِـمِ
وَاللَيـثُ دونَـكَ بَأسـاً عِنـــدَ وَثبَتِـهِ ... إِذا مَشَيتَ إِلى شاكي السِلاحِ كَمي
تَهفـو إِلَيـــكَ وَإِن أَدمَيـتَ حَبَّتَهـا ... فـي الحَـربِ أَفئِـدَةُ الأَبطـالِ وَالبُهَـمِ
مَحَبَّـةُ اللَـهِ أَلقـاهـا وَهَيبَتُـهُ ... عَلـى اِبـنِ آمِنَـةٍ فـي كُـلِّ مُصطَـدَمِ
كَـأَنَّ وَجهَـكَ تَحتَ النَقـعِ بَـدرُ دُجىً ... يُضـيءُ مُلتَثِمـاً أَو غَيـرَ مُلتَثِـمِ
بَـدرٌ تَطَلَّـعَ فـي بَـــدرٍ فَغُرَّتُـهُ ... كَغُـرَّةِ النَصـرِ تَجلـو داجِـيَ الظُلَـمِ
ذُكِرتَ بِاليُتـمِ فـي القُـرآنِ تَكرِمَـةً ... وَقيمَـةُ اللُؤلُـؤِ المَكنـونِ فـي اليُتُـمِ
اللَهُ قَسَّـمَ بَـينَ النـاسِ رِزقَهُـمُ ... وأنـتَ خُيِّـرتَ فـي الأَرزاقِ وَالقِسَـمِ
إِن قُلتَ في الأَمرِ "لا" أَو قُلتَ فيهِ "نَعَم" ... فَخيرَةُ اللَـهِ فـي "لا" مِنـكَ أَو "نَعَـمِ"
أَخـوكَ عيسـى دَعـا مَيتـاً فَقـامَ لَـهُ ... وَأَنـتَ أَحيَيـتَ أَجيـالاً مِـنَ الرِمَـمِ

وَالجَهلُ مَوتٌ فَإِن أوتيتَ مُعجِزَةً ... فَابعَث مِنَ الجَهلِ أَو فَابعَث مِنَ الرَجَمِ

قالوا غَزَوتَ وَرُسلُ اللَهِ ما بُعِثوا ... لِقَتلِ نَفسٍ وَلا جاؤوا لِسَفكِ دَمِ

جَهلٌ وَتَضليلُ أَحلامٍ وَسَفسَطَةٌ ... فَتَحتَ بِالسَيفِ بَعدَ الفَتحِ بِالقَلَمِ

لَمّا أَتى لَكَ عَفواً كُلُّ ذي حَسَبٍ ... تَكَفَّلَ السَيفُ بِالجُهّالِ وَالعَمَمِ

وَالشَرُّ إِن تَلقَهُ بِالخَيرِ ضِقتَ بِهِ ... ذَرعاً وَإِن تَلقَهُ بِالشَرِّ يَنحَسِمِ

سَلِ المَسيحِيَّةَ الغَرّاءَ كَم شَرِبَت ... بِالصابِ مِن شَهَواتِ الظالِمِ الغَلِمِ

طَريدَةُ الشِركِ يُؤذيها وَيوسِعُها ... في كُلِّ حينٍ قِتالاً ساطِعَ الحَدَمِ

لَولا حُماةٌ لَها هَبّوا لِنُصرَتِها ... بِالسَيفِ ما اِنتَفَعَت بِالرِفقِ وَالرُحَمِ

لَولا مَكانٌ لِعيسى عِندَ مُرسِلِهِ ... وَحُرمَةٌ وَجَبَت لِلروحِ في القِدَمِ

لَسُمِّرَ البَدَنُ الطُهرُ الشَريفُ عَلى ... لَوحَينِ لَم يَخشَ مُؤذيهِ وَلَم يَجِمِ

جَلَّ المَسيحُ وَذاقَ الصَلبَ شانِئُهُ ... إِنَّ العِقابَ بِقَدرِ الذَنبِ وَالجُرُمِ

أَخو النَبِيِّ وَروحُ اللَهِ في نُتُزُلٍ ... فَوقَ السَماءِ وَدونَ العَرشِ مُحتَرَمِ

عَلَّمتَهُم كُلَّ شَيءٍ يَجهَلونَ بِهِ ... حَتّى القِتالَ وَما فيهِ مِنَ الذِمَمِ

دَعَوتَهُم لِجِهادٍ فيهِ سُؤدُدُهُم ... وَالحَربُ أُسُّ نِظامِ الكَونِ وَالأُمَمِ

لَولاهُ لَم نَرَ لِلدَولاتِ في زَمَنٍ ... ما طالَ مِن عُمُدٍ أَو قَرَّ مِن دُهُمِ

تِلكَ الشَواهِدُ تَترى كُلَّ آوِنَةٍ ... في الأَعصُرِ الغُرِّ لا في الأَعصُرِ الدُهُمِ

بِالأَمسِ مالَت عُروشٌ وَاِعتَلَت سُرُرٌ ... لَولا القَذائِفُ لَم تَثلَم وَلَم تَصُمِ

أَشياعُ عيسى أَعَدّوا كُلَّ قاصِمَةٍ ... وَلَم نُعِدُّ سِوى حالاتِ مُنقَصِمِ

مَهما دُعيتَ إِلى الهَيجاءِ قُمتَ لَها ... تَرمي بِأُسدٍ وَيَرمي اللَهُ بِالرُجُمِ

عَلى لِوائِكَ مِنهُم كُلُّ مُنتَقِمٍ ... لِلَّهِ مُستَقتِلٍ في اللَهِ مُعتَزِمِ

مُسَبِّحٍ لِلِقاءِ اللَهِ مُضطَرِمٍ ... شَوقاً عَلى ساهِخٍ كَالبَرقِ مُضطَرِمِ

لَو صادَفَ الدَهرَ يَبغي نَقلَةً فَرَمى ... بِعَزمِهِ في رِحالِ الدَهرِ لَم يَرِمِ

بيضٌ مَفاليلُ مِن فِعلِ الحُروبِ بِهِم ... مِن أَسيُفِ اللَهِ لا الهِندِيَّةُ الخُذُمُ

كَم في التُرابِ إِذا فَتَّشتَ عَن رَجُلٍ ... مَن ماتَ بِالعَهدِ أَو مَن ماتَ بِالقَسَمِ

لَولا مَواهِبُ في بَعضِ الأَنامِ لَما ... تَفاوَتَ الناسُ في الأَقدارِ وَالقِيَمِ

شَريعَةٌ لَكَ فَجَّرتَ العُقولَ بِها ... عَن زاخِرٍ بِصُنوفِ العِلمِ مُلتَطِمِ

يَلوحُ حَولَ سَنا التَوحيدِ جَوهَرُها ... كَالحَلي لِلسَيفِ أَو كَالوَشيِ لِلعَلَمِ

غَرّاءُ حامَت عَلَيها أَنفُسٌ وَنُهىً ... وَمَن يَجِد سَلسَلاً مِن حِكمَةٍ يَحُمِ

نورُ السَبيلِ يُساسُ العالِمونَ بِها ... تَكَفَّلَت بِشَبابِ الدَهرِ وَالهَرَمِ

يَجري الزَمانُ وَأَحكامُ الزَمانِ عَلى ... حُكمٍ لَها نافِذٍ في الخَلقِ مُرتَسِمِ
لَمّا اِعتَلَت دَولَةُ الإِسلامِ وَاِتَّسَعَت ... مَشَت مَمالِكُهُ في نورِها التَمَمِ
وَعَلَّمَت أُمَّةً بِالقَفرِ نازِلَةً ... رَعيَ القَياصِرِ بَعدَ الشاءِ وَالنَعَمِ
كَم شَيَّدَ المُصلِحونَ العامِلونَ بِها ... في الشَرقِ وَالغَربِ مُلكاً باذِخَ العِظَمِ
لِلعِلمِ وَالعَدلِ وَالتَمدينِ ما عَزَموا ... مِنَ الأُمورِ وَما شَدّوا مِنَ الحُزُمِ
سُرعانَ ما فَتَحوا الدُنيا لِمِلَّتِهِم ... وَأَنهَلوا الناسَ مِن سَلسالِها الشَبِمِ
ساروا عَلَيها هُداةَ الناسِ فَهيَ بِهِم ... إِلى الفَلاحِ طَريقٌ واضِحُ العَظَمِ
لا يَهدِمُ الدَهرُ رُكناً شادَ عَدلَهُمُ ... وَحائِطُ البَغيِ إِن تَلمَسهُ يَنهَدِمِ
نالوا السَعادَةَ في الدارَينِ وَاِجتَمَعوا ... عَلى عَميمٍ مِنَ الرُضوانِ مُقتَسَمِ
دَع عَنكَ روما وَآثينا وَما حَوَتا ... كُلُّ اليَواقيتِ في بَغدادَ وَالتُومَ
وَخَلِّ كِسرى وَإِيواناً يَدِلُّ بِهِ ... هَوىً عَلى أَثَرِ النيرانِ وَالأَيُمِ
وَاِترُك رَعمَسيسَ إِنَّ المُلكَ مَظهَرُهُ ... في نهضَةِ العَدلِ لا في نَهضَةِ الهَرَمِ
دارُ الشَرائِعِ روما كُلَّما ذُكِرَت ... دارُ السَلامِ لَها أَلقَت يَدَ السَلَمِ
ما ضارَعَتها بَياناً عِندَ مُلتَأَمٍ ... وَلا حَكَتها قَضاءً عِندَ مُختَصَمِ
وَلا اِحتَوَت في طِرازٍ مِن قَياصِرِها ... عَلى رَشيدٍ وَمَأمونٍ وَمُعتَصِمِ
مَنِ الَّذينَ إِذا سارَت كَتائِبُهُم ... تَصَرَّفوا بِحُدودِ الأَرضِ وَالتُخَمِ
وَيَجلِسونَ إِلى عِلمٍ وَمَعرِفَةٍ ... فَلا يُدانونَ في عَقلٍ وَلا فَهَمِ
يُطَأطِئُ العُلَماءُ الهامَ إِن نَبَسوا ... مِن هَيبَةِ العِلمِ لا مِن هَيبَةِ الحُكُمِ
وَيُمطِرونَ فَما بِالأَرضِ مِن مَحَلٍ ... وَلا بِمَن باتَ فَوقَ الأَرضِ مِن عُدُمِ
خَلائِفُ اللَهِ جَلّوا عَن مُوازَنَةٍ ... فَلا تَقيسَنَّ أَملاكَ الوَرى بِهِمِ
مَن في البَرِيَّةِ كَالفاروقِ مَعدَلَةً ... وَكَابنِ عَبدِ العَزيزِ الخاشِعِ الحَشِمِ
وَكَالإِمامِ إِذا ما فَضَّ مُزدَحِماً ... بِمَدمَعٍ في مَآقي القَومِ مُزدَحِمِ
الزاخِرُ العَذبُ في عِلمٍ وَفي أَدَبٍ ... وَالناصِرُ النَدبِ في حَربٍ وَفي سَلَمِ
أَو كَابنِ عَفّانَ وَالقُرآنُ في يَدِهِ ... يَحنو عَلَيهِ كَما تَحنو عَلى الفُطُمِ
وَيَجمَعُ الآيَ تَرتيباً وَيَنظُمُها ... عِقداً بِجيدِ اللَيالي غَيرَ مُنفَصِمِ
جُرحانِ في كَبِدِ الإِسلامِ ما اِلتَأَما ... جُرحُ الشَهيدِ وَجُرحٌ بِالكِتابِ دَمي
وَما بَلاءُ أَبي بَكرٍ بِمُتَّهَمٍ ... بَعدَ الجَلائِلِ في الأَفعالِ وَالخِدَمِ
بِالحَزمِ وَالعَزمِ حاطَ الدينَ في مِحَنٍ ... أَضَلَّتِ الحُلمَ مِن كَهلٍ وَمُحتَلِمِ
وَحِدنَ بِالراشِدِ الفاروقِ عَن رُشدٍ ... في المَوتِ وَهوَ يَقينٌ غَيرُ مُنبَهِمِ

يُجـــادِلُ القَـــــومَ مُستَـــلّاً مُهَنَّـــدَهُ ... في أَعظَمِ الرُسلِ قَدراً كَيفَ لَـم يَـدُمِ
لا تَعذُلـــوهُ إِذا طـــــافَ الذُهـــولُ بِـــه ... مـاتَ الحَبيـبُ فَضَـلَّ الصَبُّ عَـن رَغَـمِ
رَبِّ صَـــلِّ وَسَلِّـــم مـــــا أَرَدتَ عَلـــى ... نَزيـلِ عَرشِـكَ خَيـــــرِ الرُسـلِ كُلِّهِـمِ
مُحـــيِ اللَيالـــي صَـــــلاةً لا يُقَطِّعُهـــا ... إِلا بِدَمـــعٍ مِـــنَ الإِشفـــــاقِ مُنسَجِـــمِ
سَـبِّحاً لَـكَ جُنـحَ اللَيـــــلِ مُحتَمِـلاً ... ضُـرّاً مِـنَ السُـهدِ أَو ضُـرّاً مِـنَ الـوَرَمِ
رَضِيَّـــةٌ نَفسُـــــهُ لا تَشتَكـــي سَأَمـــاً ... وَمـا مَـعَ الحُـبِّ إِن أَخلَصـتَ مِـن سَـأَمِ
وَصَـــلِّ رَبّـــــي عَلـــى آلٍ لَـــهُ نُخَـــبٍ ... جَعَلـتَ فـيهِم لِـــواءَ البَيـتِ وَالحَـرَمِ
بـيضُ الوُجـوهِ وَوَجـهُ الـدَهرِ ذو حَلَـكٍ ... شُـمُّ الأُنـوفِ وَأَنـفُ الحادِثـاتِ حَمـى
وَأَهـــدِ خَيـــــرَ صَـــلاةٍ مِنـكَ أَربَعَـــةً ... في الصَـحبِ صُـحبَتُهُم مَرعِيَّـةُ الحُـرَمِ
الراكِبيـــنَ إِذا نـــادى النَبِـــيُّ بِـــهِـم ... مـا هـالَ مِـن جَلَـلٍ وَاِشتَـــدَّ مِـن عَمَـم
الصابِريـــــنَ وَنَفـــسُ الأَرضِ واجِفَـــةٌ ... الضـاحِكينَ إِلـى الأَخطـــارِ وَالقُحَـمِ
يـا رَبِّ هَبَّـت شُعـوبٌ مِـــــن مَنِيَّتِهـا ... وَاِسـتَيقَظَت أُمَـمٌ مِـن رَقـــدَةِ العَـدَمِ
سَـعدٌ وَنَحـسٌ وَمُلـكٌ أَنـتَ مالِكُـــــهُ ... تُديـــــلُ مِـن نِعَـمٍ فيـهِ وَمِـن نِقَـمِ
رَأى قَضـاؤُكَ فينـا رَأيَ حِكمَتِـــــهِ ... أَكـــرِم بِوَجهِـكَ مِـن قـاضٍ وَمُنتَقِـمِ
فَـألطُف لِأَجـلِ رَســـولِ العالَمينَ بِنـا ... وَلا تَـــــزِد قَومَـــهُ خَسفـــاً وَلا تُسِـــمِ
يـا رَبِّ أَحسَنتَ بَـــدءَ المُسلِمينَ بِـهِ ... فَتَمِّمِ الفَضلَ وَاِمنَـــح حُســـنَ مُختَتَمِ

اللهم صل على نبينا محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ،

وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت

على آل إبراهيم في العالمين ،

إنك حميد مجيد .

***